جواد سليم بريشة لورنا

عبد الستار جبر

في عام ١٩٤٦ في لندن التقى غيتار بكمان، كانت الأصابع التي تعزف على الغيتار سمراء عراقية بينما التي تعزف على الكمان بيضاء انجليزية، الأولى قدمت لتتعلم النحت في كلية (سليد) للفنون الجميلة، أما الثانية فقبلت في الكلية نفسها لتتعلم الرسم، وقد التقيا خارج الكلية في حفلة خطوبة لفتاة من قسم الرسم على شاب من قسم النحت، وادرك الحضور ان العازفين اللذين يناديان بجواد ولورنا قد اشتركا بلحن من النظرات المتبادلة الاعجاب والاستلطاف، بين شاب قطف من العمر ٢٧ ربيعا وفتاة أزهر عمرها ١٨ ربيعا.

في تلك الليلة الضبابية المتوهجة بنكهة الاحتفال افتتحت ذاكرة لورنا غاليريا جديدا لم يحتضن سوى لوحة واحدة لبورتريت لم تكتمل خطوطه وملامحه بعد، لرجل مختلف عن الآخرين، بوهيمي في سلوكه واقواله ولبسه، يميل الى الفكاهة ويهتم بالموسيقى والشعر وحفلات الباليه، ظل هذا البورتريت ٣ سنوات معلقا على جدران ذاكرة لورنا يزداد ثباتا حتى أعلن صاحبه الرحيل والعودة الى الوطن ولكن برفقتها زوجة له، فاستقلا القطار الى (شفيلد) حيث يقطن والداها، قال له الأب:

- "عد الى بلدك ايها الشاب فاذا شعرت هناك انك مازلت راغبا في الزواج من ابنتي فسيكون لكل حادث حديث ".

وكان هذا الشاب بفعلته هذه قد خالف قانون البعثات العراقية الذي يمنع الطالب من الزواج اثناء دراسته في الخارج، فعليه العودة الى بغداد ليفك ارتباطه بدائرة البعثات قبل ان يقدم على الزواج، فعاد من دون لورنا التي لم تصبر بعده اكثر من سنة حتى لحقت به اذ استحوذ هذا البورتريت ليس على ذاكرتها فقط بل على قلبها وعقلها كذلك.

في بغداد عقد قران الغيتار بالكمان، وتحول البورتريت اللندني الذي كان يلفه الضباب الى بورتريت بغدادي يحف به وهج الشمس ونصوعها، اذ فتحت ذاكرة لورنا غاليريا جديدا للوحة واحدة ايضا علقت على جدران حديثة طليت باللون البني، لون الارض و البيوت والسماء والناس التي تعود الى زمان ومكان صاحب البورتريت البغدادي الذي حاول بواسطة رفيقته الجديدة - القديمة (لورنا) ان يستعيد لندن واجواءها ويستأنف سعادته، فبدأ بالذهاب الى مقاعد السينما الصيفية المكشوفة لمشاهدة افلام ريتا هيوارث أو سبنسر تراسي وحضور الحفلات الاجتماعية للأصدقاء والمعارف للرقص والاستمتاع واحتساء كؤوس الخمر، اضافة الى حضور حفلات سفارات الدول الاجنبية، اذ عودها لأماس طويلة على اصطحابها معه الى هناك بعد عودته من دوامه المسائي مسرعا من دون ان يبدل احيانا ثياب عمله فيذهب بها (اذ مازال يستأنف بوهيميته)، وعلمها على تفضيل المستكي❖ على الزحلاوي❖ في الشرب، واشتركا في العزف مع فرقة بغداد للفيلاهارمونيك التي رسم لها جواد شعارا مستوحى من القيثارة السومرية أصبح فيما بعد شعارا للفرقة السمفونية الوطنية عند تأسيسها عام ١٩٦٠.

هذا البورتريت - الزوج ملأ حياة لورنا بالابتسامة والضحك، اذ "كان يعشق الفكاهة ويحب الحياة الاجتماعية ويستطيب الشراب"، وقد حول ايامها ليلا ونهارا الى صناديق مفاجآت "فقد كان يطلع عليها كل يوم بفكرة جديدة أو بمشروع مبتكر"، لكنها فاجأته بزينب ومريم ثمرتي عزفهما الجسدي والنفسي، فتعلق بهما كثيرا، بيد انهما لم تعيقاهما عن استثمار انتشائهما الأقصى بالحياة، فتنافسا على رسم "نساء بغداد الشعبيات بأثوابهن ذوات الالوان المشرقة والنقوش المشجرة وبالحلي الذهبية" وقد سحرت لورنا" مناظر النساء اللواتي يحملن على رؤوسهن جرار الماء أو أطباق القيمر أو رزم الحطب ويسرن متراقصات بخفة أخاذة"، وكان جواد قد رسم لورنا في لندن وهي ترتدي الهاشمي فلم تشبه تلك النسوة الا في الزي الشرقي، فحاولت ان تشبههن في الرسم بعد ان تعلمت من جواد وتأثرت به" نعم لقد تأثرت بجواد، ومن كان قادرا ألا يتأثر به ؟ لكنني لم انقل عنه، فقد كنا نعمل بطريقتين مختلفتين تماما، كان هو يرسم من المخيلة ويعرف بدقة ماذا يريد ان يضع على القماش وينهي اللوحة في ساعتين لأنها مرسومة بشكل ما في رأسه، أما أنا فأبدأ بالتخطيط أولا وأرسم بالاستناد الى منظر مرئي"، لكنه لم ينه نصب الحرية الا بعد مرور سنة ونصف في ايطاليا برفقة زوجته وابنتيه وتلميذه محمد غني حكمت وبرفقة وعكة صحية ألمت به وهو يدشن ١٤ منحوتة لآخر وأعظم أعماله الفنية التي تنتصب في ساحة التحرير في قلب بغداد، بل في قلب الحرية العراقية المعاصرة التي عاد لتمثيل انتفاضتها في ١٤ تموز ١٩٥٨ على نصب شامخ لم تكتحل عيناه برؤيته سامقا كما هو الآن، اذ انه في نهار الثالث والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٦١ رحل نحات الحرية العراقي الى ذاكرة الريادة والابداع اثر ذبحة قلبية، وتوقف الغيتار عن العزف لكمانه الأرمل، فأقفل غاليري ذاكرة لورنا أبوابه على لوحته الوحيدة التي احتضنت بورتريتا ظلت خطوطه وملامحه تبرز اكبر فأكبر طوال ما يقارب خمسة عشر عاما حتى تحول الى نحت شاخص حفره ازميل الحب والاخلاص على نصب ذاكرتها التي غادرت حنينها العراقي على مضض، اذ كانت تقول "لم افكر بترك العراق بعد وفاة جواد لأن زوجي كان علما في بلده، وأردت لابنتيه أن تكونا فخورتين بأبيهما، وأن تعرفا اي فنان كبير كان، ولو أخذتهما وهما في تلك السن الصغيرة وعدت الى بريطانيا فقد لاتعرفان عنه شيئا "، فأخذت تدرس الرسم في معهد الفنون الجميلة ببغداد حتى كبرت ابنتاها فغادرت بهما الى لندن وما تزال العائلة تعيش هناك.

في مئوية ولادة كاتبة "الطيور"

دافني دي موريه... جرأة وأصالة في الإبداع القصصي

باترك مغارث

ترجمة / نجام الجبيلي

مجموعة تدعى " شجرة التفاح" ، إذ تمثل ثيمة العالم الطبيعي، العدو الغامض للإنسانية ، تطوراً جديداً في عملها ، وإلى حد ما رحيلاً متشائماً عما حصل من قبل. كانت سابقاً مهتمة بالرومانس وبالأخص الرومانس التاريخي مثل "شرم الرجل الفرنسي" و "حانة جامايكا" و "جنرال الملك" وكان ظهورها الأول ككاتبة قبل عشرين سنة برواية بعنوان" الروح العاشقة" التي تحكي قصة عدة أجيال من عائلة بحرية في كورنوول. لكن قصة "الطيور" لم يلهمها الماضي. وبدلاً من ذلك تبدو أنها تتنبأ وبلا أقل بصيرة بكارثة بيئية وشيكة وعلى نطاق واسع ، بعض الاقتراحات قالت أن الريح القادمة من القطب الشمالي هي سبب هجومات الطيور لكن قوة القصة تكمن إلى حد ما في شك القارئ بأن هناك تفسيرات أخرى ، غير علمية مصدرها العقاب الكوني لآثام البشرية.لهذا فإن عدم تحديد السبب في عدوان الطيور يسهم في القوة المضطربة للقصة.

دافني دي موريه

ومحتمل أنها نقطة البداية لنوع كامل مكرس لسرديات الكارثة البيئية. كتبت قصة "شجرة التفاح" في نفس ذلك الشتاء من عام ١٩٥١ وبينما تفتقد موضوعة التهديد في قصة "الطيور" إلا أنها تمثل تعبيراً عن الثيمة نفسها. وهي تتعلق برجل يمتعض من العار المستتر لـ"مج المسكينة" زوجته التي عانت طويلاً. إلى أي مدى يتحمل هو مسؤولية المعاناة الطويلة لـ"مج" ، ذلك ما تلمح إليه القصة فقط ولكن حين تموت فجأة ويتحرر منها يبدأ يسقط على شجرة التفاح في حديقته صفات (مج) التي أثارته أغلبها حين كانت حية. ربما جاءت هذه العدوانية من الذنب: فهو يشعر أنه مسؤول عن حياة مج التعسة ، ومع ذلك يرغب في تدمير شجرة التفاح وأخيراً تحطمه الشجرة ونفهم أنه بسبب نيته السيئة تجاه (مج) جاء بنهايته بنفسه. وإذا كانت قصة "الطيور" توحي بأن العقاب بواسطة المنقار والمخلب هو المصير الثابت للإنسانية المذنبة فإننا نرى هنا القصة نفسها مصغرة ، مثال كوني مصغر فيه رجل مذنب يتسبب بالمعاناة الشديدة.

إن الطبيعة في قصص "موريه" ليست علاجا رومانسياً لأمراض المدينة ولا تمارس أي تأثير ملطف ، عدا قصة متطورة بعنوان "البركة". في هذه الحكاية يكون الصيف في أوجه في الريف الانكليزي وأمام بركة في أرض غابة تجد فتاة عالماً سريا. مكانا غامضا تحت الماء يحتشد بالكائنات الفنتازية. ما تكتشفه في الواقع هو التحول الشديد لخيالها. وهذه هي الطبيعة كما جربها الطفل: ساحرة ، فاتنة ، غير حقيقية. ومع نهاية الطفولة – وهذه قصة تقفل مع أول دورة شهرية للفتاة –يكون العالم السري "بعيداً عن متناولها للأبد".

في قصة قوية متماسكة بعنوان"الشمواه" (حيوان من فصيلة الظباء) تتجلى موهبة المؤلفة في استحضار المكان وفيها نتتبع زوجين يرتقيان جبلاً في شمال اليونان. إن التوترات المخبوءة في الزواج قد جرى ترسيخها، كما في هوس الرجل في اصطياد "الشمواه" المراوغة. وبعد أن يصلا إلى مجاز في الجبل يرشدهم إلى المناطق العالية راعي ماعز. ويفرض الرجل الأمي المتعجرف سحره الغريب على الزوجة. وماذا يأتي بعد ذلك سيكشف عن طبيعة كل شخصية بوسيلة لا تختلف عن قصة الصيد لهمنغواي " الحياة القصيرة السعيدة لفرانسيس ماكومبر" مثلا التي تضم ذروتها أيضاً رجلاً وزوجة ودليلاً وحيواناً وبندقية". فما هو مفاجئ هنا، كما في قصة همنغواي، هو رد فعل المرأة التي تشعر بالعواطف الجنسية القوية المعقدة اللاواعية وتسقطها على الرجل الوحشي

–الرجل الطبيعي –راعي الماعز.

وأثمن تعبير للثيمة وأكثرها ألفة –أي المواجهة مع رجل وحشي في جزيرة كريت- نعثر عليه في قصة "ليس بعد منتصف الليل" ويجري تصوير منظر بحر"إيجة" بصورة حية وفعالة على الرغم من أنها لا يمكن أن تقترب من التأثير الساحر والفخامة الرومانسية للجبال الشاهقة حيث تقع ذروة الحدث في قصة "الشمواه". في القصة هناك مدرس إنكليزي خجل وعصبي غير متزوج يصبح مهووساً بشخص أمريكي مدمن متورد ومتبجح ذي نزعات ديونوسية ، وهو رجل يمتلك بعضاً من ميزات إله شيطاني متهتك من العصور القديمة وينجو المدرس من المواجهة.

إن التحري المستمر للإنسان والحيوان يجد تعبيره الأكثر درامية في القصة الرائعة "العدسات الزرق". وقد نشرت أصلاً عام ١٩٥٩ ضمن مجموعة بعنوان " نقطة التوقف" التي تحتوي على قصتين تقعان في اليونان إضافة إلى قصة "البركة" وتستقطب الانشغالات المختلفة لتلك القصص وتعثر على فكرة صريحة بسيطة فنتازية لتجمعها معاً. امرأة تعالج في مستشفى بعد عملية جراحية للعين وتزرع لها العدسات ويأتي اليوم الذي تزال فيه الضمادات وبسبب دهشة المرأة ورعبها المتنامي فإن كل شيء تراه له رأس حيوان؛ بقرة ، كلب، قطة ، ابن عرس، ثعبان.

ويدرك القارئ أن هذه المرأة امتلكت القابلية على رؤية الطبيعة الصحيحة لأولئك الذين من حولها ، والظهور الفريد للاستبصار هذا يسكن في كل منهم مفترضاً هوية الحيوان التي تعبر بصورة أفضل عن صفاتهم: نوع من التجسيم المعكوس.

إن المرأة الخائفة تتوق إلى زوجها كي يأتي ويأخذها بعيداً عن معرض الوحوش الجهنمي هذا. وأخيراً يظهر ورأسه لا يشبه رأس رجل. وهنا لم ننته بعد. فهناك عملية جراحية أخرى للعين وعلى المرأة أن تحصل على عدسات جديدة وترفع الضمادات مجدداً من عينيها. ننتقل إلى حل ذكي كئيب لعقدة الحكاية ، شاهد على براءة الاختراع السردي المثالية لهذه القاصة الموهوبة.

أما "قبلني ثانية أيها الغريب" فهي حكاية مزيج من السوداوية والقوطية يسردها شاب أعزب يعيش في لندن يذهب في إحدى الليالي إلى السينما وينجذب بقوة إلى امرأة دليل(ترشد النظارة لمقاعدهم):" لم أؤخذ أبداً بفتاة مثلها طوال حياتي" يتبعها في باص أواخر الليل ويجلس معها. تطلب منه أن يوقظها قبل أن يصلا إلى المقبرة، وبعد فترة وجيزة يخبرها بأنهما لم يمرا بها.

تقول:" أوه، سيكون هناك آخرون. فأنا لست خصوصية" وهنا توجد سخرية مرعبة ممتعة. وتثير هذه المرأة المحبة للمقابر فضول القارئ. وفي نهاية القصة نعلم بأنها قاتلة ، وأنها ستقوم بجريمتها بقتل ضحيتها الثالثة. ويعطينا أيضاً لمحة عن مرضها: ليست مجرد شهوة للدم فهناك دافع عقلي منحرف يسوقها نحو ارتكاب الجريمة.

كتبت القصة عام ١٩٥١ ومن الصعب التفكير بأمرأة مجنونة عازبة ومرتكبة لجرائم متسلسلة في الرواية البريطانية قبل دليلة السينما هذه الباردة جنسياً في قصة "موريه".

ماتت صديقتها " غيرترود لورنس" بالتهاب الكبد بعمر ٥٤ سنة وشعرت "دي موريه" بحزن شديد. كتبت فيما بعد إلى صديقة لها "إيلين دوبلدي" بأن الكلمات التي قالتها لها "غيرترود" حين تركتها آخر مرة هي:" اذهبي عني ولا تلتفتي، مثل شخص سائر في نومه" واستعملت فيما بعد هذه العبارة –مع بعض التغيير- في وداع المرأة الدليل في قصة "قبلني ثانية أيها الغريب". وأخيراً قصة " لا تنظر الآن" وقد أعدت كفيلم من أخراج "نيكولاس روج" وقد قبلت تماماً بهذا الإعداد. ليس من الصعب معرفة السبب ، بينما حول هيتشكوك مكان الحدث في قصة الطيور إلى "سونوما كونتي" وطور حبكة بارعة تضم زوجين من سان فرانسسكو يقعان في نوع من الصراع الأوديبي مع الأم المسيطرة. إلا أن " روج" بقي قريباً من الشخصيات الأصلية وإطارها في قصة " لا تنظر الآن" ، وإطار الحدث في (فينيسيا) إذ سرعان ما يضيع الزائر في متاهتها الخطرة المرددة للصدى من الأزقة والساحات والكنائس والقنوات وكما في قصة "العدسات الزرق" فإن العمى والاستبصار هما ثيمتان مركزيتان. زوجان إنكليزيان جون ولورا يقضيان عطلة في (فينيسيا) وقد فقدا قريبا ابنتهما الصغيرة بسبب مرض التهاب السحايا وفي المطعم تخبرهما امرأة عمياء ذات قوى خارقة بأن ابنتهما كانت تجلس بينهما بينما هما يأكلان.

هذه القطعة المثيرة للقشعريرة بسبب معلوماتها الخارقة هي الأولى في سلسلة من التطورات الغريبة المخيفة التي تدفع بالزوجين سيئي الحظ نحو مصيرهما المأساوي. إنها قصة رعب تسوقها المصادفات والتطابق الخاطئ والاستبصار والجريمة. وتحتوي على المشهد الغريب الذي يرى فيه جون زوجته على متن قارب بخاري في القناة الكبرى حيث يفترض أنها على طائرة في طريقها إلى إنكلترا.

ونعلم فيما بعد أن هذه كانت إشارة إلى المستقبل نفهم من خلالها السبب الرهيب لعودة لورا. إن قصة "لا تنظر الآن" هي قصة تثير القلق العميق وقوتها تنشأ من مؤثراتها الفوق طبيعية لكنها توظيف للتراكم البطيء الذي لا ينقطع للحادث والشعور الذي يكتسب تدريجيا نوعاً من الضخامة الحرجة إلى الحد الذي لا بد من أن تظهر فيه المأساة –وحين تظهر تترك القارئ مصدوماً ومتحرراً في الوقت نفسه ، لأن التوتر الشديد في الأقل قد جرى حله.. وهذه السيطرة على السرد هي في منتهى التنظيم.

حازت مؤلفات "دي موريه" على نجاح شعبي كبير على مر السنين. لكن أثناء حياتها حصلت على القليل من التقدير النقدي. قالت مرة:" لقد جرى نبذي بصورة عامة بسخرية وازدراء كوني الكاتبة الأكثر رواجاً". وأصابها القلق الشديد لأنها لم يجر تقديرها كونها الكاتبة الجدية التي أخذت على عاتقها أن تكون كذلك. حقاً أنها كانت تكتب بسرعة وبلا عناية، لكن حتى أفضل أعمالها أصابها التلخيص. مثلاً رواية "ريبيكا" وصفت كونها " رواية قصيرة" و "ميلودراما" أو "رومانس من التقليد الكبير". وما أغفله مراجعو الكتب فيها كان الدينامية السايكولوجية الرائعة الذكية في أغلب أعمالها وكذلك الشغف الذي كانت تكتبها به.

وفي أفضل أعمالها مثل" الطيور" هناك مزج مكثف مثير بين الشعور والمنظر الطبيعي والمناخ والشخصية والقصة. لقد كتبت حبكات مثيرة وكانت ماهرة جداً في إذكاء التشويق وكانت أيضاً كاتبة تمتاز بالأصالة والجرأة.

لماذا غير هتشكوك التفاصيل والذرى الدرامية ؟

الفريد هتشكوك

المساء الاخير

محمد الذهبي

انا بقربك
شاخ مني الكثير
يا امرأة للنهار
جدارٌ ثقيلٌ
وسوط قديم
تخطى جميع العصور
والهب صدراً وظهراً وجيد
يا امرأة
شاخ مني الكثير
وما فض ختم الزجاجات
أو فاض منك العقار
رجالٌ كثيرون مروا بدربك
فمرّوا رجالاً قصار
فهل كان حباً
وهل كان قلباً
توجس خوف الطريق
كأعمى أراك
بكل الثياب
بثوب المغول
وثوب الفصول التي اينعت
وبالثوب هذا الاخير
كبلقيس
قد كشفت ساقها
حسبت انها لجة من قرار
بماذا سأفديك..؟
كل النساء تجمعن يبغين رداً
على زمن مستعار
يرقصن في متعة والدموع
تحز الخدود
التي طالما روّت العاشقين
وانت الوحيدة بين الجميع
كبلقيس كنت
بعرشك جئت
وقد قلت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها
بماذا سافديك..؟
كل الدموع تغادر شطآن روحي
تجف العيون
فلا نبع ماء على شاطئيك
متى
نستفق
نحلب الأمنيات
سأحترق الآن
فرهاد كنتُ
وشيرين شدي القميص
على جسد ملّ منه الإزار
فما عادَ في مقلتي البريق
وما عادت الأرض
تبغي المزيد
يا امرأة شاخ مني الكثير
علام نحدق بالذكريات
ونعلم ان المساء
مساء أخير